

قراءات في النقد المعاصر

رينيه ويليك ؛

الهجوم على الأدب

د. عبد النبي اصطيف

عندما يذكر المرء مؤرخي النقد الادبي قديمه وحديثه ؛ وعندما يتحدث عن القادرين عن الافصاح عن التفكير النقدي السائد في ايامهم ، وصياغة افتراضاته الضمنية بوضوح ودقة وعمق وتركيز؛ وعندما يشير الى بلورة المصطلح النقدي والفهم العميق الجذور لتحولاته عبر العصور ، او الى تاريخ الادب المقارن في القرن العشرين في اوربا او الولايات المتحدة الامريكية ؛ وعندما يتدارس دور المحفزين لتطورات الحياة الادبية والنقدية واعادة توجيهها في دوائرهم، فان من المؤكد انه سيكون لرينيه ويليك (فيينا ١٩٠٣ -) مكانة السابق ، او المصلي ان كان المرء على شيء من تواضع ويليك ودقته .

والحقيقة ان متتبع عمل ويليك لا يمكن له الا ان يخرج بانطباع ما سماه
بتير دافيد هازي حتمية النمو العضوي لشجرة (١) تضرب بجذورها
في اكثر من تقليد ثقافي وادبي ، وتمتد بأغصانها وظلالها على مكان واسع
فسيح يضم اكثر من تقليد ثقافي وادبي ايضا .



رنيه ويليك :

ولد الرجل في فيينا عام ١٩٠٣ ، ودرس الادبين الانكليزي والالمانى
في جامعة تشارلز في براغ فنال درجة الدكتوراه منها على رسالته
« كارلايل والرومنسية » عام ١٩٢٦ . وفي العام التالي توجه الى الولايات
المتحدة الامريكية وامضى سنة بزميل بروكتر في جامعة برنستون انتقل
بعدها الى التدريس في كلية سميث في نورثامبتون ليعود ثانية الى
برنستون ويدرس فيها لمدة عام .

وفي عام ١٩٣٠ عاد ويليك الى براغ ليدرس في جامعتها حتى عام
١٩٣٥ عندما تم اختياره محاضرا للادب التشيكي في مدرسة الدراسات
السلافية في جامعة لندن . واثار نشوب الحرب العالمية الثانية غادر
ويليك لندن الى الولايات المتحدة ليصبح عضوا في الهيئة التدريسية
لجامعة ايوا . وبقي فيها حتى عام ١٩٤١ عندما نصب استاذا
مساعداً حتى عام ١٩٤٤ ، واستاذا للادب الانكليزي حتى عام ١٩٤٦ .

وفي ذلك العام دعته جامعة ييل ليتولى كرسي الادب السلافي والمقارن
فيها ، فبقي فيه حتى عام ١٩٥٢ عندما اختير لكرسي ستيرلنغ للادب

١ - انظر بتر دافيد هازي « رنيه ويليك واصالة النقد الامريكى » ، الفصلية
الهنغارية الجديدة (بالانكليزية و) ، المجلد ٢١ ، العدد ٨ ، شتاء ١٩٨٠ ص (١٢٠) .

المقارن الذي شغله حتى تقاعده عام ١٩٧٢ ، وهو الان استاذ شرف في
ييل ، لم ينقطع عن أي جانب من جوانب مساهماته الخلفة في شؤون
النقد والادب المقارن والدراسات السلافية .

ومن الجدير بالذكر ان ويليك انضم الى « حلقة براغ اللغوية » عندما
كان يدرس في جامعتها ، واصبح عضوا فعلا فيها قام بنشر تراثها
في العالم الانجلوسكسوني ، ونبه العاملين في ميدان النقد فيه الى اهمية
هذا الارث الذي تمثل ماقدمته الشكلية الروسية وازداد اليه .

والحقيقة ان تجربة ويليك في التعامل مع النقد يمكن ان تعتبر من
اغنى التجارب وانضجها واكثرها جدوى ، وسبب ذلك « انه استطاع
ان يجمع عصارة تجارب الشرق والغرب معا في كتاباته . فقد استطاع
من خلال مشاركته في حلقة براغ اللغوية التي كانت في نشاطها اللغوية
والنقدية معا استمرارا لمجهودات شكليي روسيا . ومن خلال تفرسه
بالنظرية الجمالية الالمانية ، ومتابعته للنظريات الادبية والنقدية التي
طورها العالم الانكلوسكوني ، ثم العالم الامريكي ، ان يتمثل تجارب
واسعة وخصبة ومتنوعة يندر ان تتاح لغيره . وكذلك فان معرفته
للغات عديدة من بينها الفرنسية والانكليزية والالمانية والتشيكية والروسية
والايطالية والاسبانية يسهل له الاطلاع مباشرة على النصوص النقدية
الهامة في هذه اللغات دون اللجوء الى الترجمات ، وبالتالي جعلت
تحليلاته واستنتاجاته في النقد الادبي والدراسة الادبية والادب المقارن
تستند الى ارضيه متينة واساس ليس من السهل زعزعتة او التشكيك
فيه او تحديه » (٢) .

لقد ظفرت هذه التجربة الفنية بالكثير من التقدير في مختلف بقاع
الارض ؛ وهكذا تسابق المهتمون بالنقد الى ترجمة نتاجه الى مختلف
اللغات ، وقامت مختلف الجامعات العربية باستضافته (ومن بينها
جامعات مينيسوتا ، كولومبيا ، هارفرد ، برنستون ، هاواي ، كاليفورنيا ،

فلورنسة ، روما ، انديانا ، واشنطن) أو بتكريمه عن طريق منح درجات
فخرية له (ومن بينها ييل ، أكسفورد ، هارفرد ، روما ، ميريلاند ،
ميشيغان ، ميونيخ ، أيست أنغليا وغيرها) . وسعت العديد من
الدوريات لاستشاراته وانضمامه لهيئة تحريرها (الادب المقارن ،
الدراسات السلافية ، الفصلية فقه اللغوية ، دراسات في الادب الانكليزي
فن الشعر اليوم ، النقد المقارن ، الكتاب السنوي وغيرها) . كما وكرمه
العديد من الهيئات العلمية اذ انتخب نائب رئيس رابطة اللغات
الحديثة في امريكا ، ورئيسا للرابطة الدولية للادب المقارن ، ورئيسا
للرابطة الامريكية للادب المقارن ، ورئيسا للجمعية التشيكوسلوفاكية
للعلوم والفنون في امريكا . وهو عضو في المجمع الامريكي للفنون والعلوم .
والمجمع البافاري ، ومجمع هولندا الملكي للعلوم ، والمجمع الوطني
الاطالي وغيرها .



امضى ويليك ستة عقود من عمره - الذي مدده العزم والحزم بمفهوم
ابي تمام (٣) في خدمة قضية النقد ، وكانت حصيلة مشاركته وافرة ربما
كان من أبرزها المؤلفات التالية :

- ١ - إيما نويل كانت في انكلترا : ١٩٧٣ - ١٨٢٨ ، برنستون ، ١٩٢١
- ٢ - نهوض التاريخ الادبي الانكليزي ، كارولينا الشمالية ، ١٩٤١

٢ - انظر . عبد النبي اصطيف .

« رنيه ويليك وكتابه تاريخ للنقد الحديث : ١٧٥٠ - ٩١٥٠ »

الموقف الادبي (دمشق) ، العدد ١٢٤ ، حزيران ، ١٩٨٢ ص ١٢٤ .

٢ - الاشارة هي لقوله :

عزما وحزما وسامي منه كالحقب

يوني من الدهر مثل الدهر ممتلئ

- ٣ - نظرية الادب (بالاشتراك مع اوستو وارين) نيويورك ، ١٩٤٩ ،
الذي ترجمه الى العربية محي الدين صبحي وراجعه د . حسام
الخطيب (٤) .
- ٤ - تاريخ للنقد الحديث : ١٧٥٠ - ١٩٨٥ ، بيل ولندن (١٩٥٥ -
) وقد صدر منه حتى الآن اربعة مجلدات ، ويتوقع له ان
يتم قريبا بعد ان ينتهي ويليك من انهاء المجلدين الاخيرين (٥) .
- ٥ - مواجهات : دراسات في الصلات الفكرية والادبية بين المانيا وانكلترا
والولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر ، برنستون ، ١٩٦٥ .
- ٦ - النظرية الادبية وعلم الجمال لدى مدرسة براغ ، ميشيفان، ١٩٦٩
- ٧ - مفهومات النقد ، بيل ، ١٩٦٣ .
- ٨ - مقالات في الادب التشيكي ، لاهاي ، ١٩٦٣
- ٩ - تمييزات : مفهومات اخرى في النقد ، بيل ، ١٩٧٠ .
- ١٠ - اربعة نقاد : كروتشه ، فاليري ، لوكاش ، إنقاردن ، واشنطن
، ١٩٨١ .
- ١١ - الهجوم على الادب ومقالات اخرى ، كارولينا الشمالية ، ١٩٨٢
- وذلك اضافة الى ما يقرب من مائة فصل في الادب والنقد ظهرت في مختلف
الكتب النقدية واكثر من خمسين مقالة مطولة ، وما يقرب من ثمانين
مراجعة نقدية ، وخمسا وعشرين مقالة متنوعة .

٤ - رينيه ويليك ، اوستن وارين

(٥) « نظرية الادب » ، ترجمة محي الدين صبحي ومراجعة د . حسام الخطيب ،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١ .

٥ - علمت من البروفيسور كلنيث بروكس الذي زاد القطر العربي السوري في العام قبل

الماضي ان ويليك قد دفع بالمجلد الخامس لطبعة جامعة بيل التي ستخرجه في العام

الحالي رقم استياء صاحبه الشديد لهذا التأخر .

الهجوم على الادب ومقالات اخرى :

ولما كان من غير الممكن التوقف عند جميع هذه الانجازات في مقالة قصيرة ، فان حديثا موجزا عن آخر ما صدر من كتبه ربما يكون مؤشرا على نوعية اعمال هذا الرجل التي تتصف بالوضوح والعمق والتركيز والتألق .

يعتبر كتاب « الهجوم على الادب ومقالات اخرى » (٦) استمرارا لمسمى ويليك في كتابيه « مفهومات النقد » (١٩٦٣) و « تمييزات : مفهومات اخرى في النقد » (١٩٧٠) ، ففيه ايضاح لمفومات اساسية في النقد وترسيخ لقيم انفق حياته في الدفاع عنها . وذلك اضافة الى فصل شيق وهام جدا من سيرة المؤلف الفكرية ، يستعرض فيه الرجل قصته مع النقد ، ودينه لشيخه الذي يقر به اقرارا ملفعا بالتبجيل والتقدير ، فضلا عن دفاع حار عن عمله العظيم « تاريخ للنقد الحديث » يوضح فيه افتراضاته الضمنية التي حكمت محاجاته فيه واختياراته وتقويماته لاعلام هذا النقد . وقد سبق لصاحب هذه السطور ان ترجمة لقراء العربية منذ سنوات (٧) .

اما الفصل الاول الذي يستمد الكتاب عنوانه منه فانه مكرس للتصدي لهؤلاء الذين لا يفتؤون يقللون من شأن الادب او يعلنون عن موته بين الحين والآخر . ويستخدم فيه ويليك سيف التاريخ في مناجزته لهم : حاجة تاريخ مفهوم الادب نفسه ليبين في نهاية مقالته انه لن يكون هناك صمت كما تنبأ بلانشو ، بل سيكون هناك دائما « صوت رجال الادب والشعراء » في الشعر والنثر ، يتحدثون الى مجتمعاتهم والبشرية . ان البشرية

(٦) رينيه ويليك ، الهجوم على الادب ومقالات اخرى ، مطبعة هارفيستر ، سيكس ،

١٩٨٢ ومطبعة جامعة كارولينا اشمالية ١٩٨٢ ، ٢٠ جنيها للطبعة المجلدة .

(٧) انظر رينيه ويليك « خواطر حول كتابي تاريخ للنقد الحديث » ، ترجمة د. عبد

انبي اصطيف ، المؤلف الادبي دمشق ، العدد ١١٨ ، شباط ١٩٨١ ، ص ١٥-٢٤

ستكون دوما بحاجة الى صوت وسجل لهذا الصوت ، في الكتابة والطباعة ، في الأدب « (ص ١٨)

وأما الفصل الثاني والمعنون بـ « الادب والتخيل ، والأدبية » فهو مخصص للدراسة طبيعة الادب . وهو الى حد بعيد تطوير لأفكار ويليك حول الموضوع نفسه ، والتي سبق له أن أوضحها في فصل « طبيعة الادب » من كتابه « نظرية الأدب » المتيسر لقراء العربية بترجمة محي الدين صبحي ومراجعة الدكتور حسام الخطيب .

ويصل ويليك بالقارئ في نهاية تفحصه المتأني لطبيعة الادب الى التمييز بين أربعة حقول لمعنى كلمة ادب . فثمة أولا ادب ، بفض النظر عن موضوعه ، ولكن مع تضمن نوعي جمالي أو فكري أو أخلاقي أو سياسي . وهناك دون ذلك جميع الكتابات التاريخية والسياسية والفلسفية والنقدية والتعليمية التي لا تصل الى مستوى يسوغ ادخالها في نطاق الادب القومي لامة ما . وهناك الادب الخيالي الذي يتميز عن سواه بالتخيل ولكن دون أن يتمتع بلغة أدبية خاصة ، وهو يتضمن القصص السيء ، أو الذي ندعوه بالادب الفرعي أو الشائسي - وهو يستحق أن يدرس كوثيقة اجتماعية في رصد تاريخ الذوق في مجتمع معين . أنه يحقق وظيفة اجتماعية ربما نأسف لها إذ ترى فيها هروبية لانقرها ، أو نرحب بها إذ ترضي حاجة انسانية . أما الحقل الرابع والآخر فيضم « مملكة الادب الخيالي حيث تسود الوظيفة الجمالية » (ص ٣٢)

ويتناول ويليك في الفصلين الثالث والرابع المعنوين بـ « فن الشعر (٨) والفسر والنقد » و « النقد تقويما » المراحل المختلفة لعملية الدراسة الادبية والتي تبدأ بتفسير النصوص المفردة ، وتهدف الى نظرية عامة للادب ، وتقود في النهاية الى تصنيف الاعمال الادبية واصدار احكام بشأنها .

وفي فصل « سقوط التاريخ الأدبي » يشكك ويليك بمحاولات استخراج تاريخ تطوري للادب ويقول في نهايته :

« لقد أخفقت محاولات التاريخ التطوري . لقد فشلت في تاريخ النقد الحديث في أن اخرج بتخطيط مقنع للتطور ، واكتشفت بالخبرة إنه ليس ثمة من تطور في تاريخ المحاجة النقدية وان تاريخ النقد هو بالأحرى سلسلة من النقاشات حول مفاهيم متكررة ، حول مفاهيم مختلف عليها في الأساس ، حول مشكلات دائمة بمعنى أنها هي معنا حتى في هذا اليوم . . . ليس من ثمة تقدم ، من تطور ، من تاريخ للفن إلا ما كان تاريخاً للكتاب ، للمؤسسات ، والتقنيات . ان هذا - على الأقل بالنسبة لي - نهاية وهم ، انه سقوط التاريخ الأدبي » (ص ٧٧)

أما في الفصل الذي يليه والمعنون بـ « العلم وشبه العلم والحس في النقد » فان شكوك ويليك تنتقل الى التمديدات الكمية والمنهج التقسيمي في النقد ، والتي غدت شائعة اليوم في النقد الحديث ، ولذلك نراه يدعو الى احياء المفهوم التقليدي المعقلن للنقد « كمعرفة تهدف لوصف وتفسير ، وتخصيص ، وفي النهاية تقوم اعمال الفن التي تتحدانا بما سماه هوسرل (بنية من الحتمية) » (ص ٨٥) ويخصص ويليك الفصول الثلاثة التالية للحديث عن ثلاثة اتجاهات رئيسية في نقد القرن العشرين هي « النقد الجديد » و « النقد الامريكى في الستينات » و « الشكلية الروسية » فيعرض لافكارها الرئيسية ويقدم ما لها وما عليها من خلال الاحتكام الى النصوص التي يحسن لغاتها .

وهكذا نراه في فصل « النقد الجديد » معه وضده يحاول ان يفند وياقناع اربع تهم غالبا ما يقذف بها النقاد الجدد من غير حق وهي :

(١) انه جمالية قلة ، بعث للفن من اجل الفن ، وغير معني بالمعنى الانساني ، والوظيفة الاجتماعية للادب .

(٢) انه غير تاريخي يعزل العمل الفني عن ماضيه وعن سياقه .

(٣) انه يهدف الى جعل النقد علميا ، او يحاول ان ينضه بالدراسة الادبية الى مرتبة تنافس العلم .

{) انه مجرد وسيلة تعليمية كمنهج شرح النصوص الفرنسي .

وهو يرد هذه التهم جميعها من خلال الاحتكام الى النصوص -
نصوص النقد الجديد ، ويبين في النهاية ان « الكثير مما علمه النقد
الجيد صالح ، وسيظل صالحا ، ما بقي اناس يفكرون في طبيعة الأدب
والشعر ووظيفتهما » (ص ٨٧)

اما في الفصل الذي يليه فانه يقدم مسحا للنقد الامريكى في الستينات
التي شهدت اعال الكثيرين من المرتدين عن مقولات النقد الجديد ،
فيشير الى بعض اعمال كل من كينيث بيرك ، ايفور وينترز ، ونورثروب
فراي ، اتغوس فلتشر ، هارولد بلوم ، فري كريغر ، جورج ستاينر ،
سوزان سونتج - جفري هارتمان ، ج ، هيليس - ميلر وغيرهم .

وفي فصل « الشكلية الروسية » يبين ويليك عن جوانب اصالتها
مثلا يشير الى جدودها . والحقيقة ان رأي ويليك فيها رأي خبير ،
فالعالم الانكلو - سكسوني مدين له وتلميذه فيكتور اريخ (٩) بالاعتراف
على اعمال هذه المدرسة ، وكذلك فان المرء ينبغي الا ينسى ان ويليك
كان عضوا في حلقة براغ اللغوية التي تمثلت تراث الشكليين الروس
وتجاوزته ، ومعنى هذا ان تقويمه لها تقويم متعاطف وينطوي على معرفة
وخبرة مباشرتين بتراثها .

كما ويتضمن الكتاب بيلو غرافيا بمؤلفات ويليك بين ١ كانون
الثاني عام ١٩٧٠ ، وكانون الثاني من عام ١٩٨٢ ، وهي بهذا تكمل
القسمين البيلوغرافيين في كتابه « مفهومات النقد » و « تمييزات ... »
ويتضمن هذه البيلو غرافيا كتبه واسهاماته في الكتب المختلفة ومقالاته
المنشورة في الدوريات ومراجعاته ، وكتابات المتنوعة ، وهي شاهد على
سعة معرفة الرجل ، وغنى نشاطه وتنوعه ، يقول رنيه ويليك في تقديمه
لكتابه .

(٩) انظر كتابه الشكلية الروسية : تاريخ - مذهب (بالانكليزية) الطبعة الثالثة ، مطبعة

« انني لارجو أن يكون اهتمامي بالوضوح ، والتماسك ، والدقة في تفكيري عن الادب بينا في جميع هذه البحوث . انني أومن بالبحث الادبي والنقد مشروعا عقليا يهدف الى التفسير الصحيح للنصوص ، والى نظرية منظمة للادب ، والى ادراك النوعية ، وبالتالي الرتبة بين الكتاب » (ص ٧١١)

والحقيقة أن ويليك في جميع فصول كتاباته ، والتي نشرها منجمة ثم ضمها في « الهجوم على الادب ومقالات اخرى » الذي بين ايدينا كان وفيها غاية الوفاء لما سعى اليه . اذ غلب على مناقشاته الوضوح والدقة والتماسك والتركيز ، وكان كتابه بحق شاهدا على تبصره في شؤون النقد ، والتزامه بقضيته . ولعله لايمضي وقت طويل قبل أن يأخذ نتاجه الطريق الى قارئ العربية ، عله يصلح به ويغيره ما قد افسد دهرنا الغشوم .

جامعة دمشق
١٩٨٥

★ ★ ★

١٩٨٥